

مقياس: نقد النقد

السنة الثانية ليسانس (دراسات نقدية)

المحاضرة الثالثة: خطابات نقد النقد

يقوم نقد النقد على أربعة خطابات متداخلة ومتكاملة، وهي: خطاب التعليم، وخطاب التأريخ، وخطاب التحقيق، وخطاب التنظير.

1- خطاب التعليم:

يشكل الطابع التعليمي في الخطاب النقدي مداخل لمعرفة الأدب وفنونه، والجمع بين إشكالاته وقضاياه وتاريخه وأجناسه؛ فهو خطاب مفتوح يعكس رؤية حرة للناقد الذي يقارب النصوص دون تحديدات منهجية صارمة.

فالخطاب التعليمي يقوم على نشر معرفة وخبرة بالنقد موجهة للمتقنين والراغبين في الاطلاع أو الشروع في ممارسة النقد والتخصص فيه، وهو بذلك لا يستوجب قارئاً نوعياً بحيث تتعدد مستويات هذا القارئ، مما يخلق مستويات متفاوتة في ذلك الخطاب يحتفظ فيها بأهداف عامة هي:

- تعريف الأدب: امتلاك المعرفة بالأدب (موضوع النقد).

- تعريف النقد: امتلاك الثقافة والمهارة والذوق النقدي، ليتكون لديه وعي بمبادئ النقد.

- التكوين العام: امتلاك ثقافة عامة تقتضي معرفة النقد.

ومعنى ذلك أن موضوع النقد في خطاب التعليم ليس موضوع علم أبدأ؛ لأنه لا يتعامل معه بصفته موضوع اكتشاف أو تحقيق أو بناء، وإنما هو موضوع جاهز من قبل، ولا يمثل مشكلة هنا إلا مشكلة القارئ الموصوف هنا بنقص في المعرفة.

وهكذا فإن الإستراتيجية الكبرى في هذا المتن تبدو واضحة بحيث تهدف إلى خدمة الطلاب والباحثين قبل خدمة النقد.

ونماذج هذا الخطاب كثيرة منها كتاب (النقد الأدبي) لشوقي ضيف، و(مقدمة في النقد الأدبي) لعلي جواد الطاهر، و(النقد الأدبي الحديث نشأته وتطوره) لكamal نشأت، و(النقد الأدبي) لأحمد كمال زكي، و(النقد الأدبي) لسهير قلماوي التي تشير إلى هذا الخطاب بقولها في مقدمة الكتاب: "لم أقصد بهذه المحاضرات أكثر من أن أبين لطلابي طريقهم في عالم النقد الأدبي الحديث، بحيث يستطيعون أن ينظموا معلوماتهم، وأن يضيفوا ما يصلون إليه من علم جديد في مكان معين من نظام عام للتفكير في موضوع النقد الأدبي"، ومثل ذلك عبر عنه صلاح دهني في مقدمة كتابه (تذوق الأدب): "كتابي هذا موجه إلى المتلقين أولاً وأخيراً، وأنه إذا كان يتناول في بعض مباحثه حالة المتفني؛ فإنما ورد ذلك لخدمة المتلقين، أما إذا وجد فيه بعض الأدباء نفعاً، فإنما يتأتى ذلك عن كونهم متلقين أولاً ومتفنين بعد ذلك".

هكذا يظهر أن غاية خطاب التعليم هي التقريب والتوعية وإفادة المتعلم بشتى الوسائل المتاحة؛ باعتماد التلخيص والإيجاز والانتقاء والتمثيل والتعريف والشرح والتوضيح، فالقصد فيه هو فهم ما هو موجود وتقديمه بصورة مناسبة، دون اشتراط للتدقيق المصطلحي.

2- خطاب التاريخ:

يضم هذا الخطاب حصيلة من الخطابات التي تعاملت مع النقد بما هو أفكار وإنتاج أو وقائع مرتبة بحسب منطق توالي الزمن، وأرادت أن تفهم أو تنظم هذا النقد بحسب ذلك المنطق؛ فأخضعت الأفكار والمؤلفات والأشخاص له، إذ نجدها تعمد إلى التحقيب الزمني وتفسير المادة النقدية بالأحداث العامة السياسية والاجتماعية.

ووجد لذلك أشكال من التحقيب داخل التاريخ نفسه وهي:

- تحقيب بحسب العصور (العصر الجاهلي، العصر العباسي...)
- تحقيب بحسب القرون (القرن الأول، القرن الثاني...)
- تحقيب بحسب المراحل (قبل، بعد...)
- تحقيب بحسب حياة النقاد وتعاقبهم (الرواد، القدامى، المعاصرين)
- تحقيب بحسب القضايا والنظريات والمناهج (تصنيف)
- تحقيب مركب يوفق بين أكثر من تحقيب سابق.

فالمادة النقدية تحقب بأكثر من معيار تاريخي، ما يؤدي إلى صعوبة في تحديد زمن النقد من حيث هو مادة يؤرخ لها من خلال سيرورتها الخاصة وإنما من خلال سيرورة التاريخ العام.

ونماذج هذا الخطاب في النقد العربي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال: كتاب (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) لطفه أحمد إبراهيم، و(تاريخ النقد الأدبي عند العرب) لإحسان عباس، و(تاريخ النقد العربي) لمحمد زغلول سلام، و(النقد الأدبي في المغرب العربي) لعبده عبد العزيز قلقيلة، و(حركة النقد الحديث والمعاصر) لإبراهيم الحاوي، و(في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية) لمحمد طه الحاجري، و(النقد الأدبي في سوريا) لنبيل سليمان... وغيرها.

وتلتقي هذه المؤلفات في أهداف عامة لخطاب التأريخ منها:

- توجيه القراء والأدباء.
- تقريب المادة لأذهان القراء.
- الدفاع عن النقد.
- تقديم نماذج للمذاهب وقضايا النقد.
- خدمة تاريخ الأدب.

3- خطاب التحقيق:

يلتبس هذا الخطاب بخطاب التأريخ، حين ينكب على أعمال نقدية سابقة ويعمل على دراستها بصفتها مرحلة نقدية منتهية محددة بزمان ومكان ثم بمؤلفات، وأحيانا يلتبس بخطاب التنظير، حين يطمح إلى اهداف مثل تجديد النظرة إلى النقد الأدبي أو اكتشاف مبادئ لخدمة النقد الأدبي.

وهو خطاب يميل إلى بحث موضوعات ونصوص نقدية سابقة، ثم يتزود بحصيلة نظرية وإجرائية تخضع تلك الموضوعات والنصوص إلى مبادئها، وصولا إلى فهم جديد يعطيها صورة غير مكررة.

إنه إذن خطاب تحقيق يتوخى بناء ذلك النقد السابق الذي قد يرجع إلى قرون خلت، وقد يرجع إلى عهد قريب، متقصدا إنتاج معرفة جديدة تستجيب لإشكالات نقدية معاصرة تترجم وعيا آخر بالنقد يؤكد نفسه بغايتين: غاية تجريب منهج التحقيق، وغاية تستهدف إعادة النظر فيما هو بحاجة إلى اكتشاف؛ إي تقديم إضافات معرفية جديدة بالنقد.

إن هذا الخطاب هو (فعل) لا يؤرخ للنقد ولا ينظر له، وإنما هو فعل (تحقيق) هدفه الوصول إلى (فهم) يغيّر كل فهم سابق للموضوعات والنصوص النقدية، مستعينا بخطوات وآليات التحقيق من عمليات الفحص والضبط والتدقيق والتحليل والمقارنة وإعادة التركيب، وبهذا يتميز عن غيره بخاصية تجعله أكثر تمثيلاً لنقد النقد (البعد المعرفي).

ويصنف خطاب التحقيق بحسب موضوعاته إلى أربعة أصناف هي:

- صنف يحقق في المفاهيم ويبحث عن حركتها في المعرفة الأدبية والنقدية العربية، ويرصد أشكال حوارها وانتظامها داخل النقد في مرحلة معينة أو عدة مراحل، مثل مفهوم: الشعر، الصورة الشعرية، المحاكاة، النقد، الناقد، الأدبية، النص...
- صنف يحقق في النظرية، ويستهدف الوصول إلى هذه النظرية باعتبارها موجودة ضمناً، أو موجودة كاملة وموصوفة، مثل نظرية عمود الشعر، ونظرية النظم، ونظرية الشعر العربي...
- صنف ينظر إلى المنهج ويتوسل باستقصاء الإجراءات والأساليب المستعملة في معالجة الأدب والأدوات التي وظفت في هذه المعالجة، وتتبع عمليات التفسير والتقييم والشروح البلاغية واللسانية والدلالية.
- صنف القراءة وهو صنف يبحث عن نظام ما موجود بصورة غير معلنة في النقد العربي، بحيث يبحث عن رؤية النقاد للأدب، فهو نمط من التحقيق الذي يتم بالبحث عن نسق بنسق من المفاهيم.

ومن أهم غايات خطاب التحقيق: الإسهام في وضع نظرية حديثة للنقد العربي المعاصر، وتأسيس نظرية عربية، ودعم الوعي النقدي وإقامته على أساس نظري وعملي معاً، ومن نماذج هذا الخطاب: كتاب (النقد المنهجي عند العرب) لمحمد مندور، و(ثقافة الناقد الأدبي) لمحمد النويهي، و(نظرية المعنى في النقد العربي) لمصطفى ناصف، و(نظرية النقد العربي) لمحيي الدين صبحي، و(نظرية اللغة والجمال في النقد العربي) لتامر سلوم، وغيرها.

4- خطاب التنظير:

خطاب التنظير هو خطاب ميتا نظري ينظر إلى النقد بما هو مشكل معرفي، ويقتررب إليه من خلال المستوى النظري والمفاهيمي والمنهجي، ويعمل من أجل وضع ممكن في مقابل ما هو سائد.

وقد كانت بدايات التنظير النقدي عند العرب ماثلة في صورة مقارنة ثم سرعان ما تحول إلى شكل من أشكال الدراسة الأدبية والفكرية في العصر الحديث، منذ صدور كتاب (تاريخ علم الأدب عند العرب والإفرنج وفكتور هوجو) لروحي الخالدي، وكتاب (منهل الورد في علم الاعتقاد) لقسطاكي الحمصي، وما جاء بعدهما.

ولخطاب التنظير مستويات مختلفة تتمثل في:

- التأسيس لنقد جديد ولنظرية عربية جديدة، ولمنهج عربي خاص.
- الفهم: الذي يمثل خطوة من خطوات التأسيس، لأن التنظير يمثل وعيا يطرح تصورا ما للنقد.
- التوفيق: من خلال ربط الصلة بين النقد العربي القديم والنقد الغربي الحديث، أو ربط النقد العربي الحديث بماضيه أو الربط بين نقدين حديثين أحدهما عربي والآخر غربي، وذلك باستيعاب شروطك تكون النقد قديما وحديثا، وإدراك الأصول التي ينهض عليها.
- ويهدف خطاب التنظير إلى: بناء نظرية، وحل مشكلات أدبية ونقدية؛ إذ يمثل مجموعة خطابات تريد تقديم معرفة بالنقد من خلال بحث المفاهيم والقضايا الإجرائية ومناهج النقد.
- بقي أن نشير إلى أنه لا يمكن الفصل بين هذه الخطابات إذ نجدها متقاطعة ومتداخلة ونمثل لذلك بما يأتي:

